ردمد
٢٥١٨-٩٢٧١
ردمد الالكتروني
٢٥١٨-٩٢٦٠

ديوان الوقف الشيعي
العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
مركز الدراسات الافريقية

مجلة دراسات افريقية

مجلة فصلية محكمة
تعنى بشؤون القارة الافريقية
تصدر عن مركز الدراسات الافريقية

العدد
الواحد والعشرون
المجلد الثاني
جمادى الآخرة ١٤٤٧ هـ
كانون الأول - ٢٠٢٥ م

المجلد الثاني
العدد الحادي والعشرون

مجلة دراسات إفريقية

جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ
كانون الأول ٢٠٢٥م

volume 2
Issue 21

Journal of African Studies

Jumada al-Thani 1447
December . 2025

المحتويات

دور قوات حفظ السلام في إفريقيا (كوت ديفوار (ساحل العاج) انموذجاً)	مهند عبدالواحد النداوي اسراء محمد حيدر البهادلي	٢٣
علاقات تشاد الخارجيَّة وأثرها على الوضع الداخلي ١٩٦٠- ١٩٨٨	أياد عبد الرحمن شيحان الركابي	٥٩
الدور المتنامي للشركات الأمنية غير الحكوميّة في إفريقيا جنوب الصحراء في إطار صراع النفوذ بين القوى الإقليمية والدولية.	مايسة خليل حسن السيد	٩١
من الجغرافيا إلى السياسة: تشكّل نظام الأبارتهايد وجدلية العرق في جنوب إفريقيا(١٦٥٢- ١٩٩٤)	هديل عباس حمد	١٦٣
نهر النيل وأثره على المجتمع في بلاد النوبة (٥٠٠-١٧٠٠م)	رأفت عبد الناصر فتحي أحمد	١٩٣
التعليم في سيراليون خلال مدة الاستعمار البريطانيّ ١٨٠٨ ـ ١٩٦١	أحمد مظهر جلعوط الهلالي	٢٤١

المجلد الثاني
العدد الحادي والعشرون

مجلة دراسات إفريقية

جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ
كانون الأول ٢٠٢٥م

volume 2
Issue 21

Journal of African Studies

Jumada al-Thani 1447
December . 2025

اللغة العربيَّة وتحديات التخطيط اللغوي في السياسة التعليمية النيجيريَّة	أحمد غربا	٢٨٧
دور المرأة السنغاليَّة في مقاومة الاحتلال الفرنسيّ: "اندَتِي يَالَّا امْبُوْجْ" و "آلِنْ سِتُّيي جَاتَ" نموذجا (خلال الفترة الممتدة من عام ١٨٤٧ إلى عام ١٩٤٤)	إبرا جوف	٣١٥
صدى الاستعمار الفرنسيّ في أدب غرب إفريقيّا المعبَّر عنه بالعربيَّة (دراسة حالة السنغال ومالي) خلال القرن العشرين: مسح عام لمواقف الأدباء	إبرا جوف	٣٣٧
اللُّغة العربيّة وقضايا توطيد العلاقات العربيّة الإفريقيّة	هداية تاج الأصفياء حسن البصري	٣٥٧
شخصية العدد: هاستينغز كاموزو باندا	بسام رضا محمد	٣٨١
عرض كتاب: دور الفولانيين ودولتهم في دخول الإسلام ونشر معارف أهل البيت عليهم السلام في غرب أفريقيا	محمد تقي المبارك	٣٨٩

نهر النيل وأثره على المجتمع في بلاد النوبة

(٥٠٠ـ١٧٠٠م)

مجلة دراسات إفريقية

Journal Homepage: http://studies.africansc.iq/
ISSN: 2518- 9271 (Print) ISSN: 2518- 9360 (Online)

نهر النيل وأثره على المجتمع في بلاد النوبة (٥٠٠-١٧٠٠م)

رأفت عبد الناصر فتحي أحمد
ماجستير التاريخ الإسلامي والدراسات الإفريقيَّة
بكلية الدراسات الإفريقيَّة العليا ـ جامعة القاهرة
rafaat2020.re@faps.cu.edu.eg

تاريخ الاستلام:
٢٥/ ١٠/ ٢٠٢٥
تاريخ القبول:
٣٠/ ١٠/ ٢٠٢٥
تاريخ النشر:
١/ ١٢/ ٢٠٢٥

الكلمات المفتاحية:
النوبة ـ نهر النيل ـ المجتمع النوبي ـ العادات والتقاليد ـ الأمراض.

المجلد الثاني العدد (٢١)
شهر جمادى الآخرة - ١٤٤٧هـ
كانون الأول ٢٠٢٥م

ملخص البحث:

إن دراسة أثر نهر النيل على الحياة الاجتماعيَّة في بلاد النوبة تفتح أفقاً لفهم ديناميكيات التفاعل بين الإنسان وبيئته، حيث ساهم النيل في تنظيم نمط الاستقرار البشري، وهيكلة العلاقات الاجتماعيَّة، وتكوين الهوية الثقافية للنوبة، فقد أسهمت مواسم الفيضان، والأنشطة الزراعيَّة، والتنقل النهري، في تشكّل أنماط التعاون والتكافل، وبلورة نظم القرابة، والطقوس، والعادات التي نسجت النسيج الاجتماعي للنوبة عبر قرون.

يسلط هذا البحث الضوء على الدور المحوري الذي لعبه نهر النيل في تشكيل البنية الاجتماعيَّة لبلاد النوبة، من خلال استقراء المعطيات التاريخية، وتحليل تأثير العوامل البيئية والمائية على العلاقات الاجتماعيَّة وأنماط العيش في هذا الإقليم الحيوي.

The Nile River and its impact on society in Nubia (500 - 1700 AD)

Raafat Abd ElNaser Fathy Ahmed
Master's in Islamic History,
Faculty of African Graduate Studies, Cairo University
rafaat2020.re@faps.cu.edu.eg

Received:
25/10/2025
Accepted:
30/10/2025
Published:
1/12/2025

Keywords:
Nubia - Nile River - Nubian society - customs and traditions - diseases.

Journal of African Studies
volume (2)
Issue (21)
Jumada al-Thani 1447 H

Absrract

Studying the impact of the Nile River on social life in Nubia opens up avenues for understanding the dynamics of interaction between hu-mans and their environment. The Nile contributed to organizing patterns of human settlement, structuring social relations, and shaping the cultur-al identity of Nubia. Flood seasons, agricultural activities, and river transport contributed to shaping patterns of cooperation and solidarity, crystallizing kinship systems, rituals, and customs that woven the social fabric of Nubia over the centuries.

This research sheds light on the pivotal role the Nile River played in shaping the social structure of Nubia, by examining historical data and analyzing the impact of environmental and water factors on social rela-tions and lifestyles in this vital region.

مقدمة:

مثّل نهر النيل عنصراً محورياً في تشكّل الحضارات القديمة وازدهارها على ضفافه، بما في ذلك الحضارة النوبيَّة التي نمت وتطورت خلال الفترة ما بين عامي ٥٠٠ إلى ١٧٠٠م في المنطقة الواقعة بجنوب مصر، وهي المنطقة التي عُرفت تاريخياً ببلاد النوبة، وقد كانت النوبة ولا تزال من أكثر المناطق ارتباطاً بنهر النيل مائياً واجتماعياً وثقافياً، حيث أسهم نهر النيل منذ فجر التاريخ وحتى نهاية العصور الوسطى في بلورة ملامح الحياة اليومية للسكان النوبيين، فلم يكن مجرد مصدر للمياه، بل كان عنصراً وجودياً تشكّل حوله نمط العيش، وبُنيت عليه الهياكل الاجتماعيَّة، ونُسجت منه القيم والعلاقات والرموز الثقافية التي ميّزت المجتمع النوبي خلال تلك القرون.

شهدت بلاد النوبة خلال الفترة الممتدة من القرن السادس حتى السابع عشر الميلادي (٥٠٠-١٧٠٠م) مراحل متعددة من التفاعل مع نهر النيل، بدءاً من الاعتماد المباشر على مياهه في الزراعة والري والصيد، مروراً باستخدامه كوسيلة رئيسية للتنقل والتبادل التجاري بين الممالك النوبيَّة ومناطق وادي النيل الأخرى، وانتهاءً بتوظيفه في الطقوس والمعتقدات الدينية والاجتماعيَّة، وقد جعل هذا التفاعل المستمر والمتعدد الأوجه من النهر مرجعاً رمزياً ومادياً للوجود الاجتماعي النوبي، وأسهم في تشكيل أنماط القرابة والتقسيمات المجتمعية، وتقوية الروابط بين الأفراد والجماعات عبر العصور.

ومع نهاية هذه الفترة، لم تكن الحياة الاجتماعيَّة في بلاد النوبة بمنأى عن التغيرات التي طرأت على نهر النيل، سواء بفعل التحولات المناخية أو السياسيَّة التي شهدتها المنطقة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، فقد شكّلت هذه التحولات لحظة فاصلة في التاريخ الاجتماعي النوبي، أثّرت بعمق على الأنماط التقليدية للعلاقات الاجتماعيَّة، ونقلت الحياة من بيئة نهر النيل إلى بيئات جديدة غالباً ما افتقرت إلى رمزية النهر وأهميته النفسية والثقافية في الخيال الجمعي النوبي.

أهمية الدراسة:

تسدُّ هذه الدراسة فجوةً في فهم التفاعل بين البيئة الطبيعية والهياكل الاجتماعيَّة في السياق النوبي انطلاقاً من منظور تاريخي، وتسهم في توثيق وتحليل أحد أبرز عناصر الهوية الاجتماعيَّة النوبيَّة المتمثلة في العلاقة الرمزية بنهر النيل، وتقدم فهماً معمقاً لأثر المجتمعات التقليدية.

أهداف الدراسة:

١. تحليل أثر نهر النيل في تشكيل البنية الاجتماعيَّة التقليدية في بلاد النوبة.

٢. توضيح العلاقة بين العادات الاجتماعيَّة النوبيَّة والموارد البيئية النيلية.

٣. دراسة أثر التغيرات البيئية والسياسات المائية على أنماط العيش والعلاقات الاجتماعيَّة في المنطقة.

٤. إبراز البعد الرمزي للنهر في الوجدان النوبي.

فرضية الدراسة:

يفترض هذا البحث أن نهر النيل مثّل العامل الحاسم في تشكيل البنية الاجتماعيَّة والثقافية لبلاد النوبة خلال الفترة من ٥٠٠ إلى ١٧٠٠م، حيث لم يكن مجرد مصدر مائي للحياة الاقتصادية والزراعيَّة، بل كان محوراً وجودياً أعاد صياغة أنماط الاستقرار البشري، والعلاقات القبلية، والأنساق القيمية والرمزية داخل المجتمع النوبي، ومن ثم فإن تحولات نهر النيل سواء في مجراه، أو في فيضانه، أو في دوره الاقتصادي والسياسي انعكست مباشرة على التحولات الاجتماعيَّة والسياسيَّة في النوبة، وأسهمت في نشأة ممالك واندثار أخرى، وفي إعادة توزيع السكان وتبدّل أنماط المعيشة على ضفتيه.

إشكالية الدراسة وتساؤلاتها:

تتمثل إشكالية هذه الدراسة في تحليل طبيعة العلاقة بين نهر النيل وبنية الحياة

الاجتماعيَّة في بلاد النوبة خلال الفترة الممتدة من ٥٠٠م إلى ١٧٠٠م، وذلك من خلال البحث في الكيفية التي أسهم بها النهر في تشكيل الأنماط الاجتماعيَّة والرمزية والثقافية للمجتمع النوبي عبر العصور، كما تتناول الدراسة أثر التحولات البيئية والتنموية التي ارتبطت بمجرى النهر، وما نتج عنها من تغيّرات في البنية الاجتماعيَّة والسلوك الجمعي والعلاقات الاقتصادية داخل المجتمعات النوبيَّة، وبناءً على ذلك يمكن صياغة الإشكالية الرئيسة في السؤال الآتي: كيف أسهم نهر النيل في تشكيل الحياة الاجتماعيَّة في بلاد النوبة خلال الفترة (٥٠٠-١٧٠٠م)، وما أثر التحولات التاريخية والبيئية المرتبطة به على هذه الحياة؟ وبناءً عليه نتجت التساؤلات التالية:

١. ما طبيعة العلاقة التي ربطت الإنسان النوبي بنهر النيل عبر التاريخ؟
٢. كيف ساهم نهر النيل في صياغة الأنماط الاجتماعيَّة في بلاد النوبة؟
٣. ما أثر الهجرات على البنية الاجتماعيَّة النوبيَّة التقليدية؟

الفترة الزمنية وسبب اختيارها:

تم تحديد الفترة الزمنية من عام ٥٠٠م إلى ١٧٠٠م لأنها تمثل مرحلة تاريخية طويلة ومتكاملة شهدت فيها بلاد النوبة تحولات عميقة في بنية المجتمع وثقافته وأنظمته الاقتصادية والدينية، فهذه الفترة لا تُعد مجرد إطار زمني للدراسة، بل هي حقبة حضارية تجتمع فيها مظاهر الاستمرار والتغير، مما يجعلها الأنسب لفهم أثر نهر النيل في تشكيل الحياة الاجتماعيَّة في المنطقة.

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي، وذلك عبر تحليل المعطيات التاريخية والأثرية المرتبطة بالنوبة ونهر النيل، وتوظيف الدراسات السابقة والمصادر الشفوية في فهم البنية الاجتماعيَّة النوبيَّة، ودمج المنهج التحليلي في دراسة التحولات الرمزية في العلاقة بين الإنسان ونهر النيل.

أولاً: جغرافية بلاد النوبة:

تقع بلاد النوبة في الشريط الجغرافي الذي يمتد في جنوب مصر على ضفتي نهر النيل، وتُعد من أقدم المناطق التي نشأت فيها حضارات زراعية مستقرة، وتتميز النوبة ببيئة نهرية ضيقة محاطة بالصحراء من الجانبين، مما جعل نهر النيل المصدر الرئيسي للحياة في المنطقة، وقد تعاقبت على بلاد النوبة حضارات متعددة منذ العصور الحجرية حتى الممالك النوبيَّة الكبرى ككرمة ونبتة ومروي، ووصولًا إلى ممالك النوبة في المسيحية والإسلام لاحقاً[١].

تُعدّ بلاد النوبة جزءاً من إقليم وادي النيل الأوسط، وتمتد على طول ضفتي نهر النيل بين الشلالين الأول والسادس، كما تشمل الأراضي الواقعة بين النيلين الأزرق والأبيض وضفافهما، وقد شكّلت هذه المنطقة النواة الجغرافية والحيوية لبلاد النوبة، نظراً لما تتمتع به من خصائص طبيعية جعلتها بيئة ملائمة لاستقرار الإنسان منذ العصور المبكرة، ويُعزى ذلك إلى موقعها الاستراتيجي على مجرى النيل، مما أسهم في نشأة وازدهار حضارات متعاقبة تركت بصمتها على ملامح البيئة الطبيعية والثقافية للإقليم[٢].

تمثل الظواهر الطبيعية والبيئية في إقليم وادي النيل الأوسط عاملاً محورياً في تشكيل أنماط الحياة في بلاد النوبة؛ إذ تؤثر مكونات البيئة الطبيعية بما في ذلك الكائنات الحية، والتضاريس، والموارد الظاهرة والباطنية تأثيراً مباشراً على سبل العيش في الإقليم، ويتوقف هذا التأثير على مدى قدرة الإنسان على استغلال هذه الموارد وتوظيف الموقع الجغرافي، مما ينعكس بدوره على مستوى التنوع والازدهار أو

---

(1) Adams, William Yewdale: Nubia: Corridor to Africa, Princeton University Press, 1977, pp. 10–22.

(٢) ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن ابن محمد ابن خلدون (ت ٧٣٢هـ/ ٨٠٨م): مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ج١، دار يعرب، سوريا، ٢٠٠٤، ص١٥١-١٥٧.

على مظاهر الفقر والركود في المجتمعات النوبيَّة[١].

لعب نهر النيل دوراً محورياً في تشكيل ملامح الحياة الاجتماعيَّة والاقتصادية للمجتمعات التي استقرت على ضفتيه في بلاد النوبة عبر العصور، ويتسم إقليم وادي النيل الأوسط بمناخ صحراوي شديد الحرارة وقليل الأمطار، ما جعل من الشريط النيلي في بلاد النوبة بيئة خصبة نسبياً ومناسبة لاستقرار الإنسان والحيوان، سواء البري أو الداجن، وتختلف مساحة الأراضي القابلة للزراعة تبعاً للظروف المناخية السائدة في الإقليم، لاسيما في ظل الطابع الصحراوي الذي يهيمن على المناطق الشرقية والغربية المجاورة للنهر، حيث يندر الغطاء النباتي وتقتصر النباتات على الشجيرات الشوكية المتناثرة، وتنتشر في هذه المناطق الأودية الموسمية، التي تتحول ضفافها إلى جيوب زراعية مؤقتة خلال موسم الأمطار، ومع ذلك، تظل ضفتي نهر النيل تمثلان المجال الحيوي الرئيسي للحياة الاجتماعيَّة في بلاد النوبة[٢].

ثانياً: نهر النيل والأبعاد البيئية والاجتماعيَّة:

يُعد نهر النيل المصدر الأول للمياه والزراعة والغذاء في بلاد النوبة، كما أنه يُشكل مجازاً رمزياً يتجاوز الوظيفة الاقتصادية إلى البعد الثقافي والديني والاجتماعي، فقد ربط النوبيون بين نهر النيل ودورات الحياة والموت والخصوبة، مما انعكس في الطقوس والاحتفالات المرتبطة بمواسم الفيضان والزراعة، كما شكّل نهر النيل عنصراً مركزياً في النظام المعرفي النوبي، حيث ارتبط بالمكان والهوية والانتماء[٣].

---

(١) ابن خلدون: المصدر السابق، ص١٥١-١٥٧.

(2) Jamie C. Woodward and Mark G. Macklin and Michael D. Krom and Martin A.J. Williams: The River Nile: Evolution and Environment, Large Rivers Geomorphology and Management, Avijit Gupta (Ed.), School of Geography, University of Leeds, UK, 2007, pp. 261292-.

(3) Hassan, Fekri A.: Extreme Nile floods and famines in Medieval Egypt (AD 930–1500) and their climatic implications, Quaternary International,

يُعد نهر النيل بمثابة العمود الفقري للنظام البيئي في بلاد النوبة، حيث وفّر عبر آلاف السنين بيئة طبيعية مناسبة للاستقرار البشري والزراعة، فبفضل الفيضان السنوي الذي كان يحمل الطمي الخصيب من الهضبة الإثيوبية، نشأت الزراعة على ضفاف النيل مما أدى إلى نشأة مجتمعات مستقرة وتطور بنية اجتماعية أكثر تعقيداً، وكان للخصوبة التي يمنحها النهر دور في تنظيم مواسم الزراعة، وتحديد الأعياد، وتوزيع العمل الجماعي، ما جعل البيئة النيلية محدداً أساسياً في الحياة اليومية[١].

ارتبطت كثيراً من الطقوس الاجتماعيَّة والدينية في بلاد النوبة بنهر النيل ومواسمه، فكان الناس يحتفلون بقدوم الفيضان بطقوس احتفالية يُشارك فيها المجتمع بكامله، تتخللها الأناشيد والرقصات التقليدية، ويتم خلالها تقديم قرابين رمزية للنهر، وهذه الطقوس لم تكن فقط مناسبات دينية، بل كانت أدوات لإعادة إنتاج التضامن الاجتماعي والتأكيد على العلاقة المقدسة بين الإنسان ونهر النيل[٢].

كما تجاوز النيل وظيفته البيئية والرمزية ليغدو عنصراً نفسياً في تكوين الهوية الفردية والجماعية للنوبيين، فالسكن على ضفافه كان يمنح شعوراً بالانتماء العميق إلى المكان، والنظر إليه كأبٍ حنون أو كرمز للطمأنينة والاستقرار، وقد عبّر كثير من النوبيين عن حالة الاقتلاع النفسي التي ترافقهم عندما يبتعدوا عن نهر النيل في موسم الفيضان وينتقلوا إلى مناطق لا تمتلك نفس الرمزية ولا الخصائص الروحية التي يمثلها نهر النيل[٣].

Volumes 1732007 ,174-, pp. 101–112.

(1) Butzer, Karl W.: Early Hydraulic Civilization in Egypt: A Study in Cultural Ecology, University of Chicago Press, 1976, pp. 57–63.

(2) Hassan, Fekri A.: Extreme Nile floods and famines in Medieval Egypt (AD 930–1500) and their climatic implications, pp. 101–112.

(3) Ibid, pp. 101–112.

ثالثاً: التكوين القبلي على نهر النيل:

١) القبائل النوبيَّة الأصلية:

استوطنت القبائل النوبيَّة الأصلية ضفتي نهر النيل منذ آلاف السنين، وتشكلت في كيانات سكانية مستقرة اعتمدت على الزراعة والصيد والتجارة، وتُقسم النوبة إلى قسمين لغويين وثقافيين هما: الدناقلة في الشمال ويتحدثون الدنقلاوية، والمحس والسكوت والكنوز في الجنوب ويتحدثون الفاديجا، وقد استمر وجود هذه القبائل في نهر النيل على امتداد القرون، وشاركت في بناء الممالك النوبيَّة المسيحية مثل نوباتيا ومقُرة وعلوة، وقد ظلت هذه القبائل تحتفظ بكياناتها حتى بعد دخول الإسلام وتحوّل بعض مناطق النوبة إلى العربية والإسلامية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين[١].

أ) قبيلة المحس في بلاد النوبة:

تفيد المصادر التاريخية بأن قبيلة المحس استوطنت ضفتي نهر النيل بين الشلال الثالث ومنطقة دنقلا، حيث انتشرت تجمعاتهم السكانية في قرى متعددة مثل دلقو، ومشكيلة، وسعدون، وأرقو، ثم توسعت لاحقاً إلى مناطق الجزيرة والخرطوم في أعقاب تحولات ديموغرافية وسياسية لاحقة؛ وتُعد المحس فرعاً من الفروع النوبيَّة الأصيلة، كما يرى السير هـ. أ. ماكمايكل الذي أشار إلى اندماجهم بعناصر عربية عقب دخول الإسلام إلى المنطقة، ويرجّح ريتشارد لوبان أن تسمية المحس تعود في أصلها إلى لفظ نوبي قديم كان يُستخدم للدلالة على موقع جغرافي، قبل أن يتحول لاحقاً إلى اسم قبلي يرتبط بالهوية الجماعية للسكان[٢].

---

(1) Edwards, David N.: The Nubian Past: An Archaeology of the Sudan, Routledge, London, 1st Edition, 2004, pp. 204–210.

(2) MacMichael, Harold Alfred, Sir,: A History of the Arabs in the Sudan, Cambridge University Press, London, vol. I, 1922, p. 138; Lobban, Richard: Historical Dictionary of Sudan, Lanham, Md. : Scarecrow Press, London,

تشير الوثائق النسبية إلى أن قبيلة المحس تُنسب تقليدياً إلى محمد الملقب بـمحس، ويُقال إنَّه من أحفاد عبد الله بن العباس، غير أن هذا النسب يثير جدلاً بين الباحثين، فقد أظهرت دراسات تاريخية أنَّ وجود المحس سابق للفترة الإسلامية، وأن اسمهم كان متداولاً قبل ظهور هذا الجد المزعوم، مما يرجح أنَّ هذا النسب قد يكون لاحقاً ولا يستند إلى أصول تاريخية دقيقة، ويؤكد المؤرخ محمد إبراهيم أبو سليم أنَّ نسب المحس إلى أصول عربية قد يكون جزءاً من ظاهرة أوسع، حيث كانت روايات النسب العربي تُستخدم في المجتمعات الإسلامية كوسيلة للارتقاء بالمكانة الاجتماعيَّة، خاصة في سياق الدولة الإسلامية، في حين أنَّ المحس يحتفظون بهوية نوبية مميزة تعود إلى عصور ما قبل الإسلام، ولهم مساهمات تاريخية وثقافية راسخة في المنطقة(١).

اتسم التنظيم الاجتماعي لدى قبيلة المحس بطابع قبلي هرمي، حيث شغل الشيخ أو الزعيم موقعاً مركزياً يجمع بين الوظيفتين السياسيَّة والدينية، مما يعكس تداخل السلطة الزمنية والروحية في بنية القيادة التقليدية، وقد حافظ المجتمع المحسي على شكل القرية النيلية النوبيَّة، التي تنقسم فيها الأسر الكبرى إلى وحدات نسبية تُعرف بـالأفخاذ، وهي تنحدر من أصل سلالي مشترك، وتُوزع الأراضي الزراعيَّة وفق نظام عرفي تقليدي يعكس علاقات الانتماء والقرابة داخل الجماعة، بينما تُمارس الزراعة على ضفاف النهر كعنصر أساسي في اقتصاد المجتمع، إلى جانب أنشطة تجارية محدودة تعتمد على النقل النهري، وقد شهدت بعض القرى المحسية تطوراً تدريجياً لتصبح مراكز دينية وتعليمية، لعبت دوراً بارزاً في نشر التعليم الديني وحفظ الثقافة المحلية(٢).

مع بداية القرن الثالث عشر الميلادي، بدأت الممالك النوبيَّة المسيحية ولا سيما

2002, pp. 286 - 318.

(١) محمد إبراهيم أبو سليم: تاريخ السودان، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١، ص١١٠.

(2) Ruffini, Giovanni R.: Medieval Nubia: A Social and Economic History, Oxford University Press, 2012, pp. 140–170.

مملكتي المقرة وعلوة، في التراجع والانحسار، وهو ما أتاح المجال لانتشار النفوذ الإسلامي تدريجياً في بلاد النوبة، وقد ساهمت قبيلة المحس في هذا التحول الديني والثقافي، خصوصاً عقب هجرتهم جنوباً في القرن الخامس عشر الميلادي، وبرز من بين صفوفهم عدد من الشخصيات الدينية البارزة التي كان لها أثر كبير في نشر الدعوة الإسلامية، من أبرزهم الشيخ إدريس ود الأرباب، أحد أعلام القرن السادس عشر الميلادي، والذي يُعد من رواد التعليم الديني التقليدي والدعوة في المنطقة، والشيخ خوجلي أبو الجاز، الذي أسس قرية خوجلي الواقعة شمال الخرطوم، والتي تحولت إلى مركز صوفي مهم، كما تُعد قبيلة المحس من أوائل القبائل التي ساهمت في ترسيخ التعليم الديني التقليدي من خلال تأسيس الخلاوي، خاصة في منطقة سنار خلال فترة حكم سلطنة الفونج (١٥٠٤-١٨٢١م)، مما يؤكد دورهم الفاعل في التحول الثقافي والديني الذي شهدته النوبة في تلك الحقبة[١].

تشير الأبحاث الأثرية بأن منطقة قبيلة المحس احتفظت بعددٍ من مواقع الاستيطان التي تعود إلى الحقبة المسيحية، وتشمل بقايا كنائس ومقابر يُؤرخ بعضها إلى ما قبل القرن الرابع عشر الميلادي، وتشير هذه المواقع إلى استمرارية استيطانية ذات طابع ديني، تحوّلت لاحقاً إلى أضرحة ومراكز إسلامية في سياق الانتقال التدريجي من المسيحية إلى الإسلام، وقد كشفت بعثة جامعة وارسو العاملة في منطقة دلقو بالمحس عن مبانٍ حجرية تعود إلى القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين، مما يدل على استقرار سكاني طويل الأمد خلال الفترات الانتقالية، كما تم توثيق وجود قباب لمشايخ صوفيين من المحس مثل الشيخ حمد النيل والشيخ خوجلي أبو الجاز، مما يشير إلى تبني الطرق الصوفية وانتشارها في المنطقة خلال الفترات الإسلامية اللاحقة، بوصفها أحد أوجه التحول الثقافي والديني في المجتمع المحلي[٢].

---

(١) عون الشريف قاسم: القبائل والأنساب في السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن، ج.١، آفروقراف للطباعة، الخرطوم، ط١، ١٩٩٦، ص٢١١.

(2) Adams, William Y.: Nubia: Corridor to Africa, pp. 433 - 450.

ب) قبيلة السكوت في بلاد النوبة:

تُعد قبيلة السكوت من أبرز المجموعات النوبيَّة النيلية التي استقرت في المنطقة الواقعة بين الشلالين الثاني والثالث، وتحديداً في الامتداد الجغرافي من قرية أبدنقون جنوباً إلى قرى كويسة وتافريس شمالاً، وهي منطقة تُعرف تقليدياً باسم ديار السكوت، وقد أشار الجغرافيون المسلمون في كتاباتهم إلى هذه المنطقة باعتبارها إحدى تخوم مملكة المُقُرَّة المسيحية، وعلى الرغم من انهيار المملكة في القرن الرابع عشر الميلادي فقد حافظت قبيلة السكوت على وجودها المستمر في تلك المناطق، ويُشير الباحث وليام آدامز إلى أنَّ منطقة السكوت احتفظت بطابعها النوبي الريفي، وبآثار معمارية تعود إلى الحقبة المسيحية، حتى بعد انتشار الإسلام وهو ما يدل على استمرارية سكانية وثقافية واضحة عبر الفترات الدينية والسياسيَّة المتعاقبة[١].

تنتمي قبيلة السكوت إلى الفرع النوبي من السكان النيليين، وتستخدم لهجة محلية تُعرف باللهجة السكوتية، وهي إحدى الفروع اللغوية التابعة لمجموعة اللغة النوبيَّة النيلية الغربية، وتتشابه هذه اللهجة في العديد من خصائصها الصوتية والتركيبية مع لهجتي المحس والدناقلة، غير أنَّها تحتفظ بخصوصيات لغوية مميزة سواء من حيث النطق أو المفردات المحلية المتداولة، وقد أشار لودفيغ كريستيان فريدرش كوهن في دراساته إلى أن لهجة السكوت تمثل امتداداً حياً لبقايا اللغة النوبيَّة القديمة التي كانت سائدة في ممالك النوبة المسيحية، مما يعكس استمرارية لغوية وثقافية تعود جذورها إلى العصور الوسطى في بلاد النوبة[٢].

(1) Adams, W. Y.: Nubia: Corridor to Africa, p. 312.

(2) Stricker, B. H.: A Study in Medieval Nubian, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, Vol. 10, No. 2, 1940, pp. 439454-; Adams, William Y.: The Coming of Nobian Speakers to the Nile Valley, In The Archaeological and linguistic reconstruction of African history, Christopher Ehret and Merrick Posnansky (eds.), University of California Press, Berkeley, London, 1982, pp. 1138-; Thelwall, Robin: Linguistic Aspects of Greater Nobian History, In The Archaeological and linguistic reconstruction of

كان المجتمع السكوتي يتكون من وحدات قرَوية قائمة على القرابة والنسب، وعادةً ما يكون الشيخ أو كبير العائلة هو المرجع في إدارة شؤون القرية، وكانت الزراعة هي النشاط الاقتصادي الرئيسي، خاصة زراعة النخيل والحبوب، إلى جانب الرعي والصيد النهري، وتُشير النقوش والمصادر الأثرية إلى وجود أنظمة ري محلية متطورة ومخازن حبوب في قرى السكوت، وقد وُثقت هذه الهياكل في أعمال بعثات التنقيب في مناطق مثل فرس وكويسة وعبري من قبل المعهد البولندي للآثار الأنماط المعمارية في مناطق السكوت تُظهر تكيّفاً فريداً مع البيئة النيلية، مما يشير إلى استقرار دائم منذ القرون الأولى للميلاد[١].

ج) قبيلة الدناقلة في بلاد النوبة:

تُعد قبيلة الدناقلة واحدة من أبرز القبائل النوبيَّة التي استوطنت الضفة الشرقية والغربية لنهر النيل، شمال مدينة دنقلا وحتى حدود المحس جنوباً، ولعبت هذه القبيلة دوراً حضارياً وثقافياً واقتصادياً مهماً في بلاد النوبة، خصوصاً خلال الفترة المسيحية وما بعد دخول الإسلام إلى بلاد النوبة، وتتجلى أهمية الدناقلة في كونهم حافظوا على الهوية النوبيَّة، كما شكلوا نقطة وصل بين الثقافتين الإفريقيَّة والعربية؛ وتنتشر قبيلة الدناقلة فيما يُعرف تقليدياً بـبلاد الدناقلة، وهي تمتد من جنوب مدينة دُنقُلا القديمة (دنقلا العجوز) وحتى منطقة المحس، وتضم قرى متعددة على ضفتي النهر، ويمثل موقعهم موقعاً استراتيجياً على ضفاف نهر النيل، وساعدهم على ممارسة الزراعة، وتيسير التجارة النهرية[٢].

African history, Christopher Ehret and Merrick Posnansky (eds.), University of California Press, Berkeley, London, 1982, pp. 3956-; Alamin, Suzan: Noun Phrase Constructions in Nubian Languages: A Comparative Study, A Journal of Nubian Studies, vol. 1, No. 1, 2014, pp. 203 - 220 .

(1) Polish Centre of Mediterranean Archaeology, Annual Reports, 2008–2012.

(٢) محجوب عثمان: بلاد النوبة دراسة في الجغرافيا والتاريخ، دار جامعة الخرطوم، الخرطوم،

ينتمي الدناقلة إلى المكون العرقي النوبي، ويتحدثون اللغة الدنقلاوية والتي تُعرف أيضًا بـالدنقلاي، وهي فرع من اللغات النيلية الصحراوية، وقد تأثرت لغتهم بشكل ملحوظ بالعربية بعد دخول الإسلام، مع احتفاظهم بقدر كبير من المفردات والتراكيب النوبيَّة الأصلية(١).

اعتمد الدناقلة في معيشتهم على الزراعة النيلية، حيث مارسوا زراعة القمح والدخن والنخيل، إلى جانب الرعي وصيد الأسماك، كما عُرفوا بالتجارة، إذ كانت قراهم تمثل محطات لمرور القوافل بين الشمال والجنوب، مما ساهم في دمجهم في شبكات اقتصادية أوسع(٢).

كما تميّز المجتمع الدنقلاوي بنظام عشائري تقليدي، حيث تتوزع القبيلة إلى بطون وأفخاذ، يقودها زعماء محليون (شيوخ أو عُمَّد) يتمتعون بنفوذ اجتماعي واسع، وكان لمؤسسة العمدة دور سياسي بارز في فض النزاعات وتنظيم شؤون القرى(٣).

في البداية كانت الديانة السائدة عند الدناقلة هي المسيحية، خاصة خلال فترة مملكة دنقلا المسيحية خلال القرنين السادس والرابع عشر الميلاديين، ومع دخول الإسلام في القرن الرابع عشر الميلادي تدريجياً، بدأت أنماط التديّن تتغير، إذ اعتنق الدناقلة الإسلام سلمياً واحتفظوا ببعض العناصر الثقافية القديمة في الممارسات

١٩٩٣، ص١١٢-١١٣.

(١) صالح بشير: اللسانيات والهوية في النوبة، مركز دراسات الوحدة الإفريقيَّة، القاهرة، ٢٠٠٤، ص٥٤-٥٥؛

Werner, Alice: The Languages families of Africa, Society for Promoting Christian Knowledge, London, 1915, p. 92.

(٢) يوسف فضل حسن: تاريخ السودان في العصور الوسطى، دار جامعة الخرطوم، الخرطوم، ١٩٨١، ص١٤٧-١٤٨.

(٣) عباس محمد علي: النظم التقليدية في المجتمعات النيلية، الهيئة القومية للثقافة، الخرطوم، ١٩٩٩، ص٨٩-٩٠.

الدينية مثل الزيارات إلى أضرحة الأولياء[١].

لعب الدناقلة دوراً في الحفاظ على الهوية النوبيَّة عبر الأغاني الشفاهية، والأمثال، والأزياء التقليدية، والعمارة الطينية، ولا تزال مظاهر الثقافة الدنقلاوية حية في الاحتفالات والمناسبات الاجتماعيَّة مثل الزواج والختان، ما يعكس تمازجاً فريداً بين الثقافة الإسلامية والتراث النوبي[٢]؛ وأقامت قبيلة الدناقلة علاقات قوية مع قبيلتي المحس والسكوت، إذ يجمعهم أصل نوبي مشترك، كما شكلوا معاً نسيجاً سكانياً متجانساً نسبياً، وفي الفترات اللاحقة، اندمج بعضهم مع القبائل العربية، مما خلق تمازجاً إثنياً وثقافياً لا يزال قائماً[٣].

٢) القبائل العربية في بلاد النوبة:

أ. الجعليون في بلاد النوبة:

تُعد قبيلة الجعليين من أشهر القبائل العربية التي استقرت في شمال السودان، ولها جذور ممتدة إلى الهجرة العربية في وادي النيل الأوسط بعد دخول الإسلام إلى النوبة، وقد ارتبطت هذه القبيلة تاريخياً بوسط النوبة، إلا أن تواجدها في الشمال واحتكاكها ببلاد النوبة يُعد جانباً هاماً لفهم التحول السكاني والثقافي الذي عرفه وادي النيل بين القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين[٤]؛ وينتمي الجعليون إلى مجموعة القبائل التي تنتسب إلى العباس بن عبد المطلب، عم النبي محمدﷺ. ويذكر

(1) Shinnie, P. L.: Medieval Nubia, Khartoum University Press, Khartoum, 1961, pp. 98–99.

(٢) نجم الدين محمد شريف: التراث الثقافي في وادي النيل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥، ص١٧٧-١٧٩.

(٣) حسن سيد أحمد: قبائل النوبة والتاريخ المشترك، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٧، ص٢٠١-٢٠٢.

(٤) يوسف فضل حسن: الهجرات العربية إلى السودان وأثرها في التركيب السكاني، دار جامعة الخرطوم، الخرطوم، ١٩٧٣، ص٨٥.

المؤرخون أنهم جاءوا من الحجاز عبر مصر واستقروا في منطقة شندي وما جاورها، ومنها انتشروا في اتجاهات متعددة، خاصة في أعقاب تراجع مملكة علوة المسيحية[١].

في القرنين السادس والسابع عشر الميلاديين، بالتزامن مع تدهور الممالك المسيحية النوبيَّة، بدأت القبائل العربية ومنها الجعليون تتوسع شمالاً نحو أراضي النوبة، وقد استقرت جماعات جعليّة في المناطق الواقعة جنوب دنقلا، وتعايشت مع المجتمعات النوبيَّة، مما أدى إلى تشكّل مجتمعات مختلطة إثنياً وثقافياً[٢]؛ وأثر الجعليون في المجتمعات النوبيَّة عبر إدخال العادات العربية الإسلامية، كالزي العربي، والنظام الأبوي، والمفاهيم القبلية الخاصة بالأنساب، إضافةً إلى نشر اللغة العربية على حساب اللغات النوبيَّة في بعض المناطق الحدودية بين قبائل المحس والدناقلة[٣].

نتج عن وجود الجعليين في بلاد النوبة نوعٌ من التداخل السكاني، حيث تزاوج الجعليون مع النوبيين، وظهر ما يعرف محلياً بـالجعليين النوبيين أو جعليي الشمال، الذين يجمعون بين السمات الثقافية للجعليين والنوبة، وقد أفرز هذا التداخل شكلاً من الهوية المزدوجة التي لا تزال بارزة في بعض المناطق بين دنقلا وشندي[٤].

---

(١) محمد إبراهيم أبو سليم: تاريخ قبائل السودان، دار الأمة، أم درمان، ١٩٨١، ص١٢٧ – ١٢٨؛ MacMichael, Harold Alfred: A History of the Arabs in the Sudan, Cambridge University Press, London, Vol. I, 1922, pp. 151–153.

(٢) محمد سعيد القدال: تاريخ السودان الحديث ١٨٢١-١٩٥٦، مركز الدراسات السودانية، بيروت، ١٩٩٢، ص٢٨-٣٠.

(٣) عطية مصطفى: اللغة والهوية في السودان النيلي، مركز البحوث الاجتماعيَّة، الخرطوم، ٢٠٠١، ص٩٢؛
Hasan, Yusuf Fadl: The Arabs and the Sudan: From the Seventh to the Early Sixteenth Century, Edinburgh University Press, Edinburgh, 1967, pp. 211–213.

(٤) محمود محمد علي: الهويات الثقافية في السودان النيلي، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٦٦-٦٧.

ب. جهينة في بلاد النوبة:

تُعد قبيلة جهينة من أقدم وأوسع القبائل العربية انتشارًا في وادي النيل والسودان بعد دخول الإسلام، وقد لعبت هذه القبيلة دوراً هاماً في التحولات السكانية والدينية والثقافية في بلاد النوبة، خصوصاً في المرحلة التي تلت سقوط الممالك النوبيَّة المسيحية، وكان لتواجد الجهينيين أثر بالغ في تعريب وأسلمة المناطق الشمالية من السودان، وتحديداً المناطق المتاخمة للنوبيين من جهة الجنوب والغرب[١].

تنتمي قبيلة جهينة إلى قضاعة من اليمن، وهي من القبائل العربية التي هاجرت مبكراً إلى مصر العليا ثم إلى النوبة والسودان، وقد بدأت هجرتهم منذ العصر الفاطمي وتزايدت مع ضعف الدولة المملوكية، واستغلوا الفراغ السياسي الذي خلفه انهيار الممالك النوبيَّة[٢].

استقرت جهينة في المناطق الواقعة بين دنقلا والدامر، وتحديداً في الأراضي الواقعة غرب النيل في مناطق كانت تقطنها سابقاً قبائل نوبية أو تابعة لممالك نوبية متأخرة، وقد أدى هذا الاستقرار إلى احتكاكٍ مباشرٍ مع سكان بلاد النوبة، وبدأت مظاهر التداخل تظهر على المستوى السكاني والديني[٣].

أدَّت جهينة عبر استيطانها المكثف وتحالفاتها مع المجموعات العربية الأخرى مثل الجعليين والكبابيش، دوراً مهماً في تعريب بلاد النوبة، خصوصاً في القرن الخامس عشر الميلادي، حيث بدأت اللغة العربية تنتشر على حساب اللغة النوبيَّة في مناطق التماس[٤].

---

(١) يوسف فضل حسن: الهجرات العربية إلى السودان وأثرها في التركيب السكاني، ص٩٢-٩٥.

(2) MacMichael, Harold Alfred: op cit, Vol. I, pp. 115–117.

(٣) محمد سعيد القدال: تاريخ السودان الحديث، ص٣٥-٣٦.

(٤) عطية مصطفى: اللغة والهوية في السودان النيلي، ص٩٤-٩٦.

ج. بني الكنز في بلاد النوبة:

تُعد قبيلة بني الكنز من أهم القبائل العربية التي استقرت في بلاد النوبة، وشكّلت قوة سياسية واقتصادية مؤثرة في المرحلة التي تلت انحسار سلطة الممالك النوبيَّة المسيحية، وينفرد بنو الكنز بكونهم أول مجموعة عربية تتبوأ مراكز سلطوية داخل الأراضي النوبيَّة، لا كمهاجرين فقط، بل كحكام وأمراء محليين، وهو ما يجعل دراسة دورهم مدخلًا لفهم التحول العميق الذي عرفته النوبة في العصر الإسلامي المبكر(١).

ينتمي بنو الكنز إلى قبيلة ربيعة العدنانية، ويعود أصل تسميتهم إلى زعيمهم المعروف بـالكنز بن عبد الله، أحد زعماء العرب الذين دخلوا مصر في العصر الفاطمي، وتولى بعضهم مناصب عسكرية وإدارية في صعيد مصر، وقد منحتهم الدولة الفاطمية أراضي واسعة على حدود النوبة، فأصبحوا من كبار الملاك وولاة الحدود(٢).

مع بداية القرن الحادي عشر الميلادي، بدأ بنو الكنز التوسع جنوباً داخل الأراضي النوبيَّة بعد أن ضعف نفوذ مملكة المقرة، وسيطروا على منطقة أسوان ثم توغلوا جنوباً حتى بلغ نفوذهم منطقة دنقلا، وقد حاولت مملكة المقرة مقاومة هذا التقدم، لكن بنو الكنز تمكنوا من فرض سيطرتهم تدريجياً، وأصبحوا القوة المسيطرة فعلياً على الشريط الحدودي بين مصر والنوبة(٣).

حدثت مواجهات مباشرة بين بني الكنز والمقريين، خاصة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، حيث شكل الكنوز تهديداً حقيقياً للسيادة المسيحية في دنقلا، وأدى هذا الصراع إلى تراجع سلطة الكنيسة النوبيَّة، وسقوط بعض المدن الحدودية في

(1) Hasan, Yusuf Fadl: op cit, pp. 228–230.

(2) MacMichael, Harold Alfred: op cit, Vol. I, pp. 155–157.-

(3) Shinnie, P. L.: op cit, pp. 99–101.

أيدي المسلمين بقيادة بني الكنز[١]؛ ومارس بنو الكنز الحكم كأمراء مستقلين نسبيًا في المناطق التي خضعت لهم، وأقاموا إدارة محلية تجمع بين العناصر الإسلامية والعادات القبلية، وقد ساهم موقعهم الجغرافي في التحكم بالطرق التجارية بين مصر وبلاد النوبة، فازدهرت مدن مثل إبريم والدر تحت سلطتهم[٢]؛ كما ساهم بنو الكنز في نشر الإسلام في بلاد النوبة، سواء من خلال الدعوة أو التحالفات والمصاهرة، وكان لهم دور بارز في تحويل الديانة الرسمية في بعض المناطق من المسيحية إلى الإسلام، وهو ما أدى إلى تعريب تدريجي للثقافة النوبيَّة في النوبة وجنوب مصر[٣].

٣) القبائل الأخرى في بلاد النوبة:

أ) قبيلة الزغاوة في بلاد النوبة:

تُعد قبيلة الزغاوة من أقدم المكوِّنات العرقية التي لعبت دوراً مهماً في تاريخ السودان الغربي والأوسط، لاسيما في إقليمي دارفور وشمال تشاد، إلا أن تأثيرها لم يقتصر على تلك المناطق، بل امتد إلى وادي النيل الأوسط بما في ذلك بلاد النوبة، وقد تجلى حضور الزغاوة بوضوح خلال فترات ضعف الممالك النوبيَّة، حيث برزوا كقوة عسكرية واقتصادية فاعلة، وأسهموا في إعادة تشكيل عدد من البُنى الثقافية والعرقية في المنطقة، مما يجعلهم عنصراً مهماً في فهم التحولات الاجتماعيَّة والسياسيَّة التي شهدها حوض النيل الأوسط[٤].

الزغاوة هم قوم أفارقة من أصول صحراوية، يتحدثون لغة من اللغات النيلية

---

(١) يوسف فضل حسن: تاريخ السودان في العصور الوسطى، ص١٥٩-١٦٠.

(2) Welsby, Derek A.: The Medieval Kingdoms of Nubia: Pagans Christians and Muslims Along the Middle Nile, British Museum Press, London, 2002, pp. 178–179.

(3) Hasan, Yusuf Fadl: op cit, pp. 231–232.

(٤) يوسف فضل حسن: تاريخ السودان في العصور الوسطى، ص١٣٥-١٣٧.

الصحراوية، وينقسمون إلى فروع كثيرة مثل كوبور وبيرتي وتنجر، وقد تركزت مواطنهم الأصلية شمال دارفور وغرب كردفان، لكنهم اتجهوا شرقاً في موجات متعددة نحو وادي النيل خاصة بعد القرن التاسع الميلادي(١)؛ وبدأ الامتداد الزغاوي نحو بلاد النوبة خلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين، عندما تحركت مجموعات منهم نحو الشرق بفعل النزاعات والصراعات المحلية في بلاد السودان الغربي، وقد استقر بعضهم في مناطق متاخمة للنوبة مثل جنوب دنقلا ووادي المقدم والمجراب، حيث تداخلوا مع السكان المحليين(٢).

وعندها كانت مملكة دنقلا النوبيَّة المسيحية تتعرض لضغوط متعددة من الشمال العرب ومن الغرب الزغاوة، وقد أشار بعض المؤرخين إلى أن الزغاوة شاركوا في بعض الغارات أو التحالفات التي ساعدت على إضعاف هذه الممالك، كما تظهر الوثائق النوبيَّة تواجد عناصر غير نوبية ربما زغاوية ضمن قوات بعض الملوك المتأخرين(٣).

لعبت قبيلة الزغاوة شأنها شأن غيرها من القبائل الوافدة من الغرب الإفريقي، دوراً فاعلاً في عملية نشر الإسلام في أطراف بلاد النوبة، وذلك بحكم موقعها الجغرافي وتماسها المباشر مع المناطق الإسلامية في دارفور وكردفان، وقد شكّل الزغاوة حلقة وصل ثقافية ودينية بين السودان الغربي الإسلامي ووادي النيل الأوسط، الأمر الذي جعلهم أحد أهم الوسطاء في انتقال المؤثرات الإسلامية إلى المجتمعات النوبيَّة، وخلال الفترة الممتدة بين القرنين الثالث والخامس عشر الميلاديين، شهدت بلاد النوبة تحولاً تدريجياً في بنيتها الدينية والثقافية، حيث أخذ الإسلام في الانتشار بين سكانها على حساب الديانة المسيحية التي كانت سائدة من قبل، ويُعزى هذا التحول إلى التفاعل المستمر بين التجار والعلماء والدعاة القادمين من الغرب الإفريقي، وإلى دور القبائل مثل الزغاوة في دمج الأنماط الإسلامية ضمن البيئة الاجتماعيَّة المحلية،

(1) MacMichael, Harold Alfred: op cit, Vol. 1, pp. 78–80.

(٢) محمد سعيد القدال: تاريخ السودان الحديث، ص٢٦.

(3) Welsby, Derek A.: op cit, pp. 194–195.

مما مهّد لتكوّن هوية ثقافية جديدة ذات طابع إسلامي نوبي مميز[١].

كان الزغاوة من أبرز القوميات الرعوية والتجارية، فقد اشتهروا بتربية الإبل والاتجار بالذهب والملح والعبيد، وكانوا يتحكمون جزئياً في طرق القوافل بين تشاد ودارفور وبلاد النوبة، وأشارت بعض المصادر إلى أن الزغاوة كانت لهم محطات تجارية في أطراف النوبة، ساهمت في إدخال سلع وأفكار من بلاد السودان الغربي إلى وادي النيل[٢].

على الرغم من أن الزغاوة لم يسيطروا على النوبة كلياً، إلا أنهم اندمجوا مع بعض المجتمعات المحلية، خاصة في المناطق الحدودية بين دارفور وكردفان والنوبة، وأسهموا في تشكيل مجتمعات هجينة سكانية ولغوية، ما تزال بقاياها الثقافية موجودة حتى اليوم في بعض مناطق شمال كردفان ودارفور الشرقي[٣].

ب) التكارِرة في بلاد النوبة:

يُطلق اسم التكارِرة في السياق السوداني والمصري عموماً على الحجاج والتجار المسلمين القادمين من منطقة السودان الغربي، وخاصةً من ممالك التكرور، وكانو، وتنبكتو، وقد وفد هؤلاء إلى بلاد النوبة عبر طرق القوافل القديمة، واستقر عدد منهم في مدن نيلية، وأسهموا بشكل كبير في نشر الإسلام السني، وتعميق التقاليد الصوفية، خاصة في المناطق النوبيَّة بين دنقلا ووادي حلفا[٤].

(1) Hasan, Yusuf Fadl: op cit, pp. 239–240.

(2) Levtzion, Nehemia and Hopkins, J. F. P.: Corpus of Early Arabic Sources for West African History, Cambridge University Press, London, 1981, pp. 127–129.

(٣) عطية مصطفى: الهجرة والتحول الثقافي في السودان الأوسط، مركز الدراسات الاجتماعيَّة، الخرطوم، ٢٠٠١، ص٨٤-٨٥.

(٤) يوسف فضل حسن: تاريخ الهجرات الإسلامية إلى السودان، معهد الدراسات الإفريقيَّة، الخرطوم، ١٩٨٠، ص٩٣-٩٦.

كلمة التكارِرة مشتقة من اسم مملكة تكروور الواقعة في منطقة بلاد السودان الغربي (نهر السنغال حالياً)، والتي كانت من أوائل الممالك الإسلامية في بلاد السودان الغربي، ومع توسع الإسلام أطلقت هذه التسمية على كل من قدم من السودان الغربي، وخاصة من مملكة غانا ومالي وصنغي بلاد الهوسا[١].

هاجر التكارِرة إلى بلاد النوبة عبر الطريق التجاري والحج المعروف بـدرب الأربعين أو طريق القوافل الغربية، وكانت دوافعهم هي أداء فريضة الحج، والانخراط في شبكات العلم والدعوة، والبحث عن فرص تجارية وزراعية، والرغبة في الاستقرار في أرض الإسلام؛ وقد كان بعضهم يقرر البقاء في النوبة بعد الحج أو الدراسة بالأزهر، خاصة في مناطق مثل وادي حلفا وكرمة ودنقلا[٢].

ج) المغاربة في بلاد النوبة:

ارتبط اسم المغاربة في الأدبيات التاريخية الإسلامية بالمهاجرين القادمين من شمال السودان الغربي، وخاصة من المغرب الأقصى، ممن اتجهوا إلى المشرق لأداء الحج، أو لطلب العلم، أو لنشر الدعوة، وقد مثّلت بلاد النوبة إحدى محطات عبورهم واستقرارهم، فكان لهم وجود في مناطق دنقلا ووادي حلفا وغيرها، وأدى حضورهم إلى تحولات اجتماعية وثقافية ودينية مهمة[٣].

كان المغاربة يُطلق عليهم في بلاد النوبة وصفاً عاماً يشمل المسلمين القادمين من بلاد المغرب الإسلامي، وغالباً ما يكونون من العلماء، أو الحرفيين، أو الحجاج، وقد بدأ استقرار بعضهم في النوبة منذ القرن الثالث عشر الميلادي، ثم ازداد بشكل

---

(1) Levtzion, Nehemia: Ancient Ghana and Mali, Africana Publishing Company, London, 1980, p. 216.

(٢) حسن أحمد إبراهيم: الهجرة الإسلامية إلى السودان وأثرها الثقافي والديني، دار جامعة الخرطوم، الخرطوم، ١٩٨٥، ص١١٤-١١٦.

(٣) يوسف فضل حسن: تاريخ الهجرات الإسلامية إلى السودان، ص١٠١-١٠٤.

كبير في القرنين السادس والسابع عشر الميلاديين، خاصة في عهد الدولة السنوسية التي ربطت بين الصحراء الكبرى وبلاد النوبة بطرق الدعوة والتجارة[١].

كان طريق الحج عبر الصحراء يشمل محطات مثل توات وكردان ويمر عبر دارفور وصولاً إلى دنقلا ووادي حلفا، ومنها إلى مصر والحجاز، وقد استقر بعض الحجاج في بلاد النوبة بسبب المرض، أو الوفاة في الطريق، أو لرغبتهم في التعليم والتدريس والدعوة[٢].

أسّس المغاربة أحياءً معروفة في المدن النوبيَّة مثل حي المغاربة في دنقلا العجوز، وزاوية المغاربة في وادي حلفا، ومقابر المغاربة قرب أبو سمبل، وكانت هذه الأحياء تُعد مراكز دينية وتعليمية وتكافلية، حيث شيدت فيها الزوايا والمساجد والمدارس، وانتشرت فيها الطرق الصوفية مثل الطريقة الشاذلية والسنوسية[٣].

رابعاً: نهر النيل والعادات والتقاليد الاجتماعيَّة:

١. المآكل والمشرب:

تمثل الأطعمة مكوناً أساسياً من مكونات الحياة الاجتماعيَّة في المجتمع النوبي، حيث اتسمت الممارسات الغذائية في بلاد النوبة بخصوصية ثقافية انعكست في أصناف الطعام المتداولة، لا سيما الخبز النوبي، الذي يُعد الغذاء الرئيس ويُشار إليه محلياً بمصطلح العيش، ويُحضَّر هذا الخبز في الغالب من الذرة الخشنة أو غير المختمرة، ما يمنحه قواماً خشناً نتيجة لضعف عمليات الطحن، وتظهر اختلافات

---

(١) أحمد إبراهيم أبو شوك: السودان والمغاربة الهجرات والطرق الصوفية، دار الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨، ص٥٩-٦٠.

(2) Levtzion, Nehemia and Hopkins, J. F. P.: Corpus of Early Arabic Sources for West African History, pp. 153–154.

(٣) حسن أحمد إبراهيم: التصوف والمجتمع في السودان النيلي، دار جامعة الخرطوم، الخرطوم، ١٩٨٤، ص١١٣-١١٤.

ملحوظة في أنماط صناعة الخبز بين النوبيين والعرب، إذ كان العرب يستهلكون خبز الذرة إلى جانب نوع آخر يُعد من القمح، كما يُنتج أحياناً خبزٌ مركّب من خليط الذرة والقمح، يُعرف محلياً بـالرغيف أو الكسرة[١].

كما اعتمد أهل النوبة في غذائهم على الشعير المسلوق وكان يطلق عليه كشر نقيق، وكان العدس والحمص واللوبيا من أشهر أنواع الحبوب التي كان يقبلون عليها النوبيين في طعامهم، كما كانوا يتناولون الذرة البيضاء التي تشبه الأرز سواء كانت مسلوقة أو مطبوخة، وكذلك أيضاً الترمس المملح، والتمر بأنواعه الذي كان يُعرف بالبلح الإبريمي[٢].

بوجود نهر النيل في بلاد النوبة كان السمك من الخيرات التي أنعم الله بها على أهل النوبة، فانتشرت سفن ومراكب الصيد ومرت بالعديد من الجنادل الموجودة في نهر النيل ببلاد النوبة، وكانت هذه الجنادل لا تعبرها المراكب إلا بالحيلة ودلالة الصيادين النوبيين المهرة بتلك الجنادل، ويُعد السمك عندهم الطعام الرئيسي والغذاء الأساسي لأغلب القبائل التي تسكن على ضفاف نهر النيل، وفي الأغلب أنهم كانوا يصطادون الأسماك المختلفة في الصيف ويقددونها للشتاء[٣].

---

(١) جُون لويس بوركهارت: رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان، ترجمة: فؤاد أندراوس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧، ص٧-٨؛ كرم الصاوي باز: مصر والنوبة في عصر الولاة دراسة في التاريخ الاجتماعي في ضوء أوراق البردي العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص٣٢٩.

(٢) العمري، شهاب الدين أبو العباس ابن فضل الله (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات وآخرون، ج٤، مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبي، ٢٠٠١، ص ٥٦؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، ج٣، المطبعة التوفيقية، القاهرة، ١٩٩٧، ص٢٩٣.

(٣) ابن سليم الأسواني، عبد الله بن أحمد بن سليم الأسواني (ت ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م): أخبار النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل، في المكتبة السودانية العربية (مجموعة النصوص والوثائق العربية

وبالنسبة للشراب شكّلت مياه نهر النيل المصدر الرئيسي لمياه الشرب لدى سكان بلاد النوبة، نظراً لرداءة مذاق مياه الآبار العذبة وتلوثها في كثير من الأحيان، وإلى جانب اعتمادهم على ماء النيل، استهلك النوبيين الألبان المستخلصة من الأغنام والأبقار والجِمال كمصدر غذائي مهم، ولم يقتصر تناولهم على الماء واللبن فقط، بل عرفوا أيضاً صناعة مشروبات تقليدية أبرزها المزر، وهو نوع من النبيذ المحلي المصنوع من الشعير والحبوب أو من الذرة، ويُعد من المشروبات الشائعة في الثقافة الغذائية النوبيَّة(١).

٢. الملابس والزينة:

اتسمت الملابس التقليدية في بلاد النوبة بالبساطة الشديدة، وهو ما يعكس طبيعة البيئة المناخية الحارة التي أثّرت بشكل مباشر على أنماط اللباس، وقد أظهر النوبيين تقليلاً ملحوظاً في استخدام الأقمشة، حيث كانوا يكتفون بارتداء الحد الأدنى من الملابس، أحياناً باستخدام الجلود، بما يتلاءم مع ظروفهم البيئية، وتُشير بعض المصادر التاريخية إلى مظاهر شبه العُري لدى السكان، حتى في المناسبات الرسمية، إذ ورد وصف أحد ملوك النوبة بأنه خرج عارياً ممتطياً فرساً، كما وردت إشارات أخرى إلى أن بعض السكان كانوا يسرحون ليلاً عراة نتيجة شدة حرارة الأرض نهاراً، وتعكس هذه الممارسات تكيّف الإنسان النوبي مع بيئته القاسية ووعيه

الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطى)، تحقيق: مصطفى محمد مسعد، مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم، الخرطوم، ١٩٧٢، ص٩٤؛ ابن سعيد، أبى الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي (ت ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م): كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٠، ص١١٥.

(١) الإدريسي، أبو عبد الله محمد أبي يحي زكريا بن الشريف الإدريسي المالكي الأشعري (ت ق ٦هـ/ ١٢م): المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩٣، ص١٣؛ القلقشندي، أبى العباس أحمد القلقشندي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٥، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢، ص٢٧٦.

العملي في استخدام الموارد المتاحة[١].

مع مرور الزمن تأثرت أنماط اللباس لدى بعض النوبيين بالزي العربي، مما أدى إلى تحول تدريجي نحو مظهر أكثر احتشاماً، فبدأوا في اعتماد أنماط جديدة من الملابس تمثلت في ارتداء أقمشة تُعرف محلياً باسم الدكاديك، وانتشرت بينهم السراويل وهي عبارة عن قمصان فضفاضة تغطي الجسم، وكانت تصنع من القطن أو الكتان الخشن أو الجلد المشقق، وقد أشارت بعض المصادر إلى شيوع ارتداء هذه السراويل الطويلة المفتوحة الأطراف، كما شاع ارتداء الجلاليب الواسعة وهي أثواب طويلة غالباً ما تُصنع من الكتان الخشن أو القطن، وتتميز بلونها الأسود في كثير من الأحيان، وبرزت أيضاً العباءة كلباس تقليدي واسع، يُفضَّل في الغالب بلون بني، وتُرتدى فوق الثياب، وكان تغطية الرأس من المظاهر الشائعة بين النوبيين، حيث استخدموا العمامة أو العصابة، بالإضافة إلى الطواقي، كجزء من ملبوساتهم اليومية، مما يعكس تداخلاً بين التأثيرات البيئية والثقافية في تشكيل المظهر العام للزي النوبي[٢].

---

(١) ابن سليم الأسواني: أخبار النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل، ص١٠١؛ أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٨م): الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، ج٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧، ص١٦٢؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩، ص٣٩.

(٢) ابن حوقل، أبى القاسم أحمد (ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م): صورة الأرض، مطبعة بريل، ليدن المحروسة، ١٩٣٨، ص٦٢؛ الدمشقي، شمس الدين أبى عبد الله محمد أبى طالب الأنصاري (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، بطرسبرج، ١٨٦٥، ص٢٦٨؛ الحسن الوزان، الحسن بن محمد الزياتي (ت ٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م): وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج١، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣، ص٥٨؛ رجب عبد الجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٢، ص٢٣٤؛ رينهارت دوزي: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: أكرم فاضل، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠١٢، ص٨٦.

اشتهرت النساء النوبيات بارتداء قطعة قماش تُلفّ فوق الملابس تُعرف باسم الشَّقَّة، وكانت تُستخدم بهدف ستر كامل الجسم، مما يعكس القيم الثقافية المتعلقة بالحشمة والمظهر العام، كما استخدمت بعض النساء الأُزر وهي قطعة قماش تُلف حول الجسد، لا سيما عند الخروج من المنزل، وفيما يتعلق بما يلبس بالقدم فقد عُرف استخدام النعال والخفاف المصنوعة من الجلد بين الرجال والنساء على حدٍّ سواء، وقد تنوعت هذه الأحذية بين المفتوح والمغلق، بما يتلاءم مع متطلبات البيئة والأنشطة اليومية، مما يدل على مستوى من التكيف العملي مع الظروف المناخية السائدة في بلاد النوبة(١).

بالسبة للزينة عُرف المجتمع النوبي رجالاً ونساءً بممارسة الزينة كجزء من تقاليدهم الثقافية اليومية، فقد استخدموا زيت الخروع لدهن شعر الرأس والجسم بهدف التنعيم والحفاظ على المظهر، وهو ما يعكس وعياً مبكراً بالعناية بالجسم، كما برزت الزينة بالشعر من خلال تصفيفه على هيئة جدائل دقيقة بأشكال متنوعة، تُظهر مهارة جمالية وذوقاً فنياً، وعُرفت النساء النوبيات باستخدام الحُلي حيث ارتدين الأقراط المعروفة محلياً باسم الحلقان والتي صُنعت من مواد مثل الزجاج والفضة، كما ارتدين العقود حول الرقبة، والخلاخيل في القدم، وكلها استخدمت لأغراض الزينة، مما يعكس حضوراً واضحاً للزينة في المظهر العام والهوية الاجتماعيَّة للمرأة النوبيَّة(٢).

---

(١) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م): التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تحقيق: عزة حسن، دار طلاس للترجمة والنشر، دمشق، ط٢، ١٩٩٦، ص١٤٣؛ الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص٢٠؛ رجب عبد الجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، ص٤٩٩.

(٢) ابن البيطار، ضياء الدين أبو محمد (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٤٣م): العلاج بالأعشاب، تحقيق: سعيد صالح مصطفى زعيمة، دار ابن خلدون، (د.ب)، ٢٠١٣، ص٧٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٢، ص١٢٥؛ التونسي، محمد بن عمر (ت ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م): تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق: خليل محمود عساكر ومصطفى مسعد، الدار المصرية للتأليف

٣. الوفاة (عادات الجنائز):

كشفت الاكتشافات الأثرية ونتائج الحفريات في بلاد النوبة عن الممارسات الجنائزية في المجتمع النوبي كانت منذ العصور المبكرة متأثرة بالأنماط المصرية، حيث كانت طرق دفن الموتى تتبع الطقوس الجنائزية السائدة في مصر، وذلك وفقاً للفترة الزمنية التي جرت فيها عملية الدفن، وتؤكد على ذلك النصوص الجنائزية التي عُثر عليها في مناطق متفرقة من بلاد النوبة، والتي تتشابه في مضمونها وشكلها مع نظيراتها المصرية، كما أظهرت بعض المقابر المكتشفة وجود تقويم مزدوج يشمل التاريخين الميلادي والهجري، مما يشير إلى تأثر المجتمع النوبي بالثقافة الإسلامية، ويُعَدّ دليلاً على حرص العرب في بلاد النوبة على تمييز مقابرهم وإضفاء طابع ثقافي وديني خاص عليها[١].

تشير الدراسات الأثرية والحفائر إلى أن المجتمع النوبي كان يتّبع طقوساً جنائزية مميزة عند دفن الموتى، من بينها وضع إناء مملوء بالماء بجوار القبر، وهو ما يُحتمل أن يكون ذا دلالة رمزية أو طقسية، كما كان القبر يُغطى بحصى ملوّن أو أبيض ويُحيط به إطار من الحصى الأسود، بينما تميزت قبور الأطفال باستخدام الحصى الأسود فقط، وكان من الشائع أيضاً غرس سعفتين كبيرتين بجوار القبر، في ممارسة يُعتقد أنها تحمل دلالات رمزية متعلقة بالحياة أو الخلود؛ أما في السياق المسيحي فقد دأب النوبيين المسيحيون على نقش رموز دينية مثل الصليب، وصور السيد المسيح، وخاصة في قبور منطقة المقرة، التي احتوت العديد من النقوش القبطية المرتبطة بالعذراء مريم، ومع

والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥، ص٢١٣-٢١٤.

(١) ساويرس بن المقفع، ساوري أسقف الأشمونيين (ت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي): تاريخ البطاركة، تحقيق: عبد العزيز جمال الدين، ج٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٦، ص٩٧٠؛

Vliet, Jacques van der: The Christian Epigraphy of Egypt and Nubia, Routledge, London, 1st Edition, 2018, p. 323.

مرور الزمن طرأت تغيرات على الطقوس الجنائزية، مما أدى إلى اندثار بعض هذه الممارسات أو تحوّلها بفعل المتغيرات الثقافية والدينية(١).

عبّر النوبيون عن الحزن عند الوفاة من خلال ممارسات طقسية شملت البكاء المصحوب بوضع التراب على الرأس، وهي عادة تحمل دلالات رمزية على الحزن والفقدان، كما امتنع أهل المتوفى عن إقامة مظاهر الفرح في منازلهم لفترة زمنية طويلة بعد الوفاة، احتراماً لحرمة الموت، وقد تنوعت طقوس المشاركة في الجنازات تبعاً لدرجة القرابة؛ فإذا كان المتوفى من الأقارب من الدرجة الأولى، كان من المتعارف عليه أن تقوم أسرته بذبح بقرة وتوزيع لحمها، وهي ممارسة ترتبط بمكانة المتوفى الاجتماعيَّة، أما في حالة عامة الناس فقد اقتصرت الطقوس على ذبح شاة وتوزيع لحمها، أو تقديم الخبز عند قبر الميت، وهي ممارسات تعبّر عن التكافل الاجتماعي وتقدير الفقيد ضمن إطار ثقافي وديني محدد(٢).

٤. الاحتفالات بالمواسم والأعياد:

كان المسيحيون في بلاد النوبة يحتفلون بمجموعة من الأعياد الدينية المرتبطة بالعقيدة المسيحية، والتي كانت تُقام وفقاً للتقويم والطقوس التي وضعتها الكنيسة النوبيَّة بالتنسيق مع بطريرك الإسكندرية، ومن أبرز هذه الأعياد عيد البشارة الذي يُخلّد ذكرى تبشير مريم العذراء بميلاد المسيح، ويُحتفل به بناءً على طقوس خاصة

(١) محمد عوض محمد: السودان الشمالي سكانه وقبائله، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٥٦، ص٤٨؛ جيوفاني فانتيني: تاريخ المسيحية في الممالك النوبيَّة القديمة والسودان الحديث، (د.ن)، الخرطوم، ١٩٧٨، ص٥٣؛ جون لويس بوركهارت: رحلات بوركهارت في بلاد النوبة، ص٣١؛

Lajtar, Adam: Empowering the Dead in Christian Nubia the Texts from A Medieval funerary Complex in Dongola, The Journal of Juristic Papyrology, Vol. XXXII, Warsaw, 2017, pp. 274 - 275.

(٢) ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي (ت ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م): المدخل إلى الشرع الشريف، ج٣، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د.ت)، ص٢٤٦.

يقرّها بطريرك الإسكندرية لأسقف الكنيسة النوبيَّة، كما كان عيد الزيتونة من الأعياد المهمة، حيث تُزيّن فيه الكنائس ولا سيما كنيسة أسوس، ويخرج الناس في مواكب حاملين سعف النخيل في رمزية دينية، ويُعد عيد الفصح من أهم الأعياد لدى مسيحيي النوبة، إذ يمثل نهاية فترة الصيام ويُنظر إليه على أنه العيد الكبير، أما عيد خميس الأربعين أو ما يُعرف بعيد الصعود فهو يخلّد بحسب المعتقد صعود المسيح إلى السماء بعد أربعين يوماً من قيامته، ويُمارَس هذا الطقس ضمن التقاليد المستقرة في الكنيسة النوبيَّة، مما يعكس استمرار وتأصيل الطقوس المسيحية في الحياة الدينية والثقافية للمجتمع النوبي[١].

من بين الأعياد الدينية التي احتفل بها مسيحيو النوبة، يبرز عيد الخمسين والذي يُقام بعد مرور خمسين يوماً على عيد القيامة، ويُعد من المناسبات المهمة في التقويم المسيحي، كما يحتفلون بـعيد الميلاد الذي يُعتقد أنه يوافق يوم ميلاد السيد المسيح، حيث جرت العادة على إضاءة المصابيح في الكنائس خلاله، في طقس تعبّدي رمزي يعكس الفرح الروحي، بالإضافة إلى ذلك تضم المناسبات الدينية الأخرى التي كان لها حضور في الحياة الدينية النوبيَّة عيد الغطاس الذي يرمز إلى معمودية المسيح؛ وعيد الأربعين المرتبط بطقس ديني بعد الوفاة؛ وعيد خميس العهد الذي يسبق الفصح ويُخلّد ذكرى العشاء الأخير؛ وعيد حدّ الحدود وهو من الأعياد المحلية ذات الطابع الديني، وكلها تشكّل مكونات رئيسية للطقوس والاحتفالات في الكنيسة النوبيَّة[٢].

---

(١) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الأدب، ج١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٣، ص١٩١؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج١، ص٧٣٢.

(٢) ابن العديم، كمال الدين عمر (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م): الوصلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب، ج١، تحقيق: سليمى محجوب ودرية الخطيب، منشورات جامعة حلب، حلب، ١٩٨٦، ص٣٧٧-٣٧٨؛ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج١، ص١٩٣-١٩٤؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج١، ص٧٣٧؛ جيوفاني فانتيني: تاريخ المسيحية في الممالك النوبيَّة القديمة والسودان الحديث، ص٢٠١.

مارس المسلمون في بلاد النوبة طقوسهم الدينية المرتبطة بالأعياد الإسلامية مثل عيد الفطر وعيد الأضحى، شأنهم في ذلك شأن المسلمين في سائر أنحاء العالم الإسلامي، غير أن ظروفهم المعيشية الصعبة الناتجة عن محدودية الموارد وانتشار الفقر حالت دون إقامة مظاهر احتفالية واسعة كما هو معتاد في المجتمعات الإسلامية الأخرى؛ وقد أشار المقريزي إلى رواية ابن سليم الأسواني التي توثق مشاركته في صلاة عيد الأضحى أثناء زيارته لبلاد النوبة، حيث ذكر أنه «حصل عيد الأضحى وهو عند ملك النوبة، فخرج إلى ظاهر المدينة في نحو ستين من المسلمين وصلى بهم صلاة العيد»، وتُعد هذه الشهادة دليلاً على وجود مظاهر مبكرة للتأثير الإسلامي في المجتمع النوبي، والتي بدأت تظهر نتيجة التفاعل الثقافي والاجتماعي الناتج عن الهجرات والاختلاط بين العرب المسلمين والنوبيين المسيحيين في بعض مناطق النوبة[١].

خامساً: نهر النيل والأمراض:

لم يكن من الممكن أن توجد حضارة في بلاد النوبة لولا وجود مياه نهر النيل، وقد كان هذا النهر نفسه هو المحرك الرئيسي لانتشار الطفيليات بين السكان الذين عاشوا في بلاد النوبة، حيث مكنت مياه نهر النيل البعوض من التكاثر ونشر الأمراض كالبلهارسيا وغيرها من الأمراض؛ كما أن التقنيات الزراعيَّة التي تعتمد على الري باستخدام مياه نهر النيل تعرض المزارعين لخطر الإصابة بالبلهارسيا أثناء خوضهم في المياه[٢].

---

(١) ابن ميسر، تاج الدين محمد (ت ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م): المنتقى من أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١، ص١٥٩؛ ابن ظهيرة، جمال الدين محمد (ت ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م): الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق: مصطفى السقا وكامل المهندس، دار الكتب، الجمهورية العربية المتحدة، ١٩٦٩، ص١٩٩.

(2) Lalremruata, Albert and Ball, Markus and Bianucci, Raffaella and Welte, Beatrix and Nerlich, Andreas G. and Kun, Jürgen F. J. and Pusch, Carsten M.: Molecular identification of falciparum malaria and human

كانت حياة السكان في بلاد النوبة محل اهتمام علماء الآثار والحفريات، وكان هذا الاهتمام حول الصحة والمرض لدى هؤلاء السكان الذين على ضفاف نهر النيل، وقد ساهم في فهم الأمراض والوفيات لدي السكان الذين يقيمون على ضفاف نهر النيل[١]؛ وبفحص عدد من المومياء التي يرجع تاريخها لعام ٥٥٠م والتي بلغ عددهم ٢١٨ مومياء تبين أن ٤٠٪ منهم مصابون بالبلهارسيا، ونتيجة الفحص تبين أن المصابون تناقل لهم المرض عن طريق قمل الرأس والذباب المتواجد بالمستنقعات المائية[٢].

أظهرت بعض الدراسات الميدانية المهتمة بالصحة العامة في منطقة بلاد النوبة

tuberculosis co-infections in mummies from the Fayum depression (Lower Egypt), PLOS ONE, Vol. 8, Issue 4, e60307, 2013, pp. 17-; Tapp Edmund and Wildsmith, Ken: The Autopsy and endoscopy of the Leeds mummy, In The Mummy's Tale: The Scientific and Medical Investigation of Natsef-Amun, Priest in the Temple at Karnack, David, Ann Rosalie and Tapp, Edmund (Eds.), Michael O'Mara Books Limited, London, 1993, pp. 132-153; Matheson, Carney D. and David, Rosalie and Spigelman, Mark and Donoghue, Helen D.: Molecular confirmation of Schistosoma and familial relationship in two ancient Egyptian mummies, Yearbook of Mummy Studies, Vol. 2, 2014, pp. 39 - 47.

(1) Armelagos, George John and Jacobs, K. H. and Martin, D. L.: Death and demography in prehistoric Sudanese Nubia, In Mortality and immortality: The anthropology and archaeology of death, Humphreys, S. C. and King, H. (editors), Academic Press, London, 1981, pp. 3357-; Armelagos, George John: Paleopathology of three archaeological populations from Sudanese Nubia, Ph.D. Dissertation, Department of Anthropology, University of Colorado, Colorado, United States, 1968, pp. 275 - 304.

(2) Armelagos, George J.: Disease in Ancient Nubia: changes in disease patterns from 350 B.C. to A.D. 1400 demonstrate the interaction of biology and culture, Science, New Series, Vol. 163, Issue 3864, 1969, pp. 255 - 259.

أن نسبة الإصابة بالبلهارسيا كانت مرتفعة لدى سكان ضفاف النيل بالنوبة، كما هو موضح في فحص ٢١٨ مومياء لعام ٥٥٠م، حيث تبيّن أن نحو ٤٠٪ منها كانت مصابة بالمرض، غير أن بعض الروايات نسبت خطأً انتقال البلهارسيا إلى وسائط غير علمية، كقمل الرأس أو الذباب، وهو ما يناقض ما أجمعت عليه الأوساط الطبية، فالبلهارسيا هي عدوى طفيلية تسببها ديدان من جنس Schistosoma، وتنتقل عبر اختراق يرقات الطفيل (السيركاريا) للجلد البشري أثناء ملامسة مياه عذبة ملوثة تحتوي على هذه اليرقات، والتي تخرج من القواقع التي تمثل العائل الوسيط للطفيل، وتؤكد منظمة الصحة العالمية أن الحشرات كقمل الرأس أو الذباب **لا** علاقة لها البتة بانتقال هذا المرض، وهو ما تؤيده كذلك مراكز السيطرة على الأمراض الأمريكية[١].

كما أجريت عدة دراسات تؤكد أن معدلات الوفيات في النوبة السفلى قد ارتفعت خلال أواخر عام ١٠٥٠م حتى عام ١٣٠٠م، ومن خلال هذه الدراسات قد أجريت مقارنة بين مجموعتين كانت الأولى من عام ١٠٥٠–١١٥٠م والثانية من عام ١١٥٠–١٣٠٠م ففي خلال تلك الأعوام تبين أنه في كل فئة عمرية كان هناك انخفاض في متوسط العمر المتوقع بأكثر من عامين في تلك العينات، وفي سن العاشرة كان الفارق في متوسط العمر المتوقع أقل بكثير من ثلاث لخمس سنوات في كل منهما[٢].

---

(1) Despommier, Dickson D. et al.: Parasitic Diseases, Parasites Without Borders, 7th ed., 2021, pp. 2138-; Kokaliaris Christos, Garba Amadou, Matuska Martin, Bronzan Rachel N., Colley Daniel G., Dorkenoo Ameyo M., et al.: Effect of preventive chemotherapy with praziquantel on schistosomiasis among school-aged children in sub-Saharan Africa: a spatiotemporal modelling study, Lancet Infect Dis, Volume 22, Issue 1, 2022, pp. 136 - 149.

(2) Armelagos, George John and Jacobs, K. H. and Martin, D. L.: Death and demography in prehistoric Sudanese Nubia, pp. 33-57; Swedlund, A. C. and Armelagos, George John and Nina Godneff: Une recherché en pa-

ومن العجائب التي وجدت بنهر النيل فرس النهر الذي يكون به، يأكل التماسيح وغيره من الدواب، ويرى هذا الفرس إذا كان فلْواً[١] في البيوت مع النساء والصبيان، وفي سنه شفاء من وجع المعدة والنوبة والحبشة تتعالج به، لأنهم يأكلون الأطعمة الغليظة فيشرفون على الموت من وجع المعدة فيأخذون سن هذا الفرس ويتعالجون به فيبرؤون؛ وكذلك من عجائب النيل دابة تسمى ذا القرن تكون في نهر النيل على أنفها مثل السيف الحاد تقطع الصخرة إذا ضربتها وربما قتلت به الفيل[٢].

---

leodemographie: la Nubie soudanaise, Annales Histoire, Sciences Sociales, Civilisations, vol. 24e, No. 6, 1969, pp. 1287-1298; Greene, D. L. and Van Gerven D. P. and Armelagos, George John: Life and death in ancient populations: bones of contention in paleodemography, Journal of Human Evolution, Vol. 1, Issue 1, 1986, pp. 193-207.

(١) كلمة فَلْواً: بفتح الفاء وسكون اللام وضم الواو، مأخوذة من العربية القديمة، وجذرها (ف ل و)، وهي تُطلق على ولد فرس النهر الصغير، أي: المهر حين يُولد ويكون في بداية نموّه، قبل أن يُفطم أو يُستخدم في الركوب أو العمل، وفي سياق الجمل «ويُرى هذا الفرس إذا كان فَلْوًا في البيوت مع النساء والصبيان» أي إن فرس النهر hippopotamus الذي يصفه النص عندما يكون صغيراً فَلْواً، أي مولوداً حديثاً، يعيش في البيوت مع الناس، ويُربَّى بينهم كما تُربّى الدواب الأليفة، وذلك قبل أن يكبر ويعود إلى الماء؛ وهذا وصف ميداني طريف يدل على الألفة بين الإنسان والحيوان في بيئة النيل، وعلى معرفة أهل تلك البلاد بخصائص فرس النهر الذي يكون في صغره أليفاً وغير مؤذٍ، ثم إذا شبّ عاد إلى طبيعته البرّية المفترسة، حتى إنه كما في النص يأكل التماسيح والدواب؛ ابن منظور، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت ٧١١ هـ/ ١٣١١ م): لسان العرب، ج١٥، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص١٢٦.

(٢) ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد بن اسحاق الهمذاني (ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م): مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٠٢، ص٦٣.

الخاتمة:

شكّل نهر النيل العمود الفقري للحياة في بلاد النوبة، ولم يكن مجرد مصدر للمياه والزراعة، بل كان عاملًا بنيوياً حاسماً في تشكيل البنية الاجتماعيَّة والثقافية والدينية والسياسيَّة للمجتمع النوبي بين عامي ٥٠٠ و١٧٠٠م، فقد أسهم نهر النيل في تثبيت التجمعات السكانية النوبيَّة القديمة، وفي دعم استمرارية الأنظمة الملكية المسيحية، قبل أن يصبح شرياناً أساسياً لانتشار الإسلام والثقافة العربية عبر الهجرات القبلية من الشمال والغرب والشرق.

وهكذا، فإن نهر النيل في بلاد النوبة لم يكن مجرد ممر مائي، بل كان بمثابة النسيج الرابط الذي أعاد تشكيل هوية المنطقة خلال القرون المتتالية منذ القرن الخامس حتى القرن السابع عشر الميلادي، وأسهم في انتقالها من مجتمع مسيحي محلي إلى مجتمع إسلامي متعدد الأعراق والثقافات؛ ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

١. النيل أساس الاستقرار الحضاري والاجتماعي أظهر نهر النيل أنه العامل الحاسم في استقرار السكان النوبيين في قرى ومدن امتدت على ضفافه مثل دنقلا، فرس، عبري، وقد أسهم في نشوء نمط سكني زراعي دائم يربط بين الأرض والعشيرة، مما ساعد في الحفاظ على البنية القبلية النوبيَّة التقليدية حتى بعد دخول الإسلام.

٢. دور نهر النيل في استمرار الممالك المسيحية النوبيَّة فقد دعم النيل البنية الاقتصادية والسياسيَّة لمملكتي نوباتيا والمقرة، إذ مكّن من الزراعة والربط بين المراكز الدينية والإدارية، مما أسهم في استقرار الحكم المسيحي في النوبة حتى القرن الرابع عشر الميلادي.

٣. نهر النيل وسيط طبيعي لنشر الإسلام واللغة العربية مع ضعف الممالك المسيحية، حيث تحول نهر النيل إلى قناة لعبور الإسلام القادم من الشمال عبر بني الكنز، ومن الغرب عبر التكارِرة والمغاربة، مما جعل النيل شرياناً للتلاقح الحضاري

بين الإسلام والهوية النوبيَّة.

٤. تعزيز النيل لشبكات الطرق التجارية والحج كان النيل جزءاً من منظومة تجارية دينية متكاملة، حيث مرّت عبره قوافل الحج القادمة من بلاد الغرب الإفريقي باتجاه مصر والحجاز، مما ساهم في استقرار قبائل وافدة مثل الهوسا، التكارِرة، والمغاربة في مراكز نوبية رئيسية.

٥. تشكل هوية نوبية وعربية وإفريقية هجينة أسهم النيل في التفاعل بين القبائل الأصلية والوافدة من العرب وأفريقيا، مما أدى إلى ظهور هويات ثقافية هجينة انعكست في اللغة، والمجتمع، والنظم التعليمية والدينية، خاصة مع ظهور الكنائس والزوايا الصوفية والخلاوى على ضفاف النهر.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر العربية:

١. الإدريسي، أبو عبد الله محمد أبي يحي زكريا بن الشريف الإدريسي المالكي الأشعري (ت ق ٦هـ/ ١٢م): المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩٣.

٢. ابن البيطار، ضياء الدين أبو محمد (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٤٣م): العلاج بالأعشاب، تحقيق: سعيد صالح مصطفى زعيمة، دار ابن خلدون، (د.ب)، ٢٠١٣.

٣. التونسي، محمد بن عمر (ت ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م): تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق: خليل محمود عساكر ومصطفى مسعد، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥.

٤. ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي (ت٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م): المدخل إلى الشرع الشريف، ج٣، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د.ت).

٥. الحسن الوزان، الحسن بن محمد الزياتي (ت٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م): وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣.

٦. ابن حوقل، أبى القاسم أحمد (ت٣٥٠هـ/ ٩٦١م): صورة الأرض، مطبعة بريل، ليدن المحروسة، ١٩٣٨.

٧. ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن ابن محمد ابن خلدون (ت٧٣٢هـ/ ٨٠٨م): مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، سوريا، ٢٠٠٤.

٨. الدمشقي، شمس الدين أبى عبد الله محمد أبى طالب الأنصاري (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، بطرسبرج، ١٨٦٥.

٩. ساويرس بن المقفع، ساوري أسقف الأشمونيين (ت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي): تاريخ البطاركة، تحقيق: عبد العزيز جمال الدين، مكتبة مدبولي،

القاهرة، ٢٠٠٦.

١٠. ابن سعيد، أبى الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي (ت ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م): كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٠.

١١. ابن سليم الأسواني، عبد الله بن أحمد بن سليم الأسواني (ت ٣٨٦هـ / ٩٩٦م): أخبار النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل، في المكتبة السودانية العربية (مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطى)، تحقيق: مصطفى محمد مسعد، مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم، الخرطوم، ١٩٧٢.

١٢. أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٨م): الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧.

١٣. ابن ظهيرة، جمال الدين محمد (ت٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م): الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق: مصطفى السقا وكامل المهندس، دار الكتب، الجمهورية العربية المتحدة، ١٩٦٩.

١٤. ابن العديم، كمال الدين عمر (ت٦٦٠هـ/ ١٢٦١م): الوصلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب، تحقيق: سليمى محجوب ودرية الخطيب، منشورات جامعة حلب، حلب، ١٩٨٦.

١٥. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م): التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تحقيق: عزة حسن، دار طلاس للترجمة والنشر، دمشق، ط٢، ١٩٩٦.

١٦. العمري، شهاب الدين أبو العباس ابن فضل الله (ت٧٤٩هـ / ١٣٤٨م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات وآخرون، مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبي، ٢٠٠١.

١٧. ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد بن اسحاق الهمذاني

(ت٢٩٠هـ/ ٩٠٣م): مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٠٢.

١٨. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩.

١٩. القلقشندي، أبى العباس أحمد القلقشندي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢.

٢٠. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، المطبعة التوفيقية، القاهرة، ١٩٩٧.

٢١. ابن ميسر، تاج الدين محمد (ت ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م): المنتقى من أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١.

٢٢. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٣.

ثانياً: المراجع العربية والمعربة:

١. أحمد إبراهيم أبو شوك: السودان والمغاربة الهجرات والطرق الصوفية، دار الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨.

٢. جُون لويس بوركهارت: رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان، ترجمة: فؤاد أندراوس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧.

٣. جيوفاني فانتيني: تاريخ المسيحية في الممالك النوبيَّة القديمة والسودان الحديث، (د.ن)، الخرطوم، ١٩٧٨.

٤. حسن أحمد إبراهيم: التصوف والمجتمع في السودان النيلي، دار جامعة الخرطوم، الخرطوم، ١٩٨٤.

٥. حسن أحمد إبراهيم: الهجرة الإسلامية إلى السودان وأثرها الثقافي والديني، دار جامعة الخرطوم، الخرطوم، ١٩٨٥.

٦. حسن سيد أحمد: قبائل النوبة والتاريخ المشترك، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٧.

٧. رجب عبد الجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٢.

٨. رينهارت دوزي: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: أكرم فاضل، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠١٢.

٩. صالح بشير: اللسانيات والهوية في النوبة، مركز دراسات الوحدة الإفريقيَّة، القاهرة، ٢٠٠٤.

١٠. عباس محمد علي: النظم التقليدية في المجتمعات النيلية، الهيئة القومية للثقافة، الخرطوم، ١٩٩٩.

١١. عطية مصطفى: اللغة والهوية في السودان النيلي، مركز البحوث الاجتماعيَّة، الخرطوم، ٢٠٠١.

١٢. ــــــــــــ: الهجرة والتحول الثقافي في السودان الأوسط، مركز الدراسات الاجتماعيَّة، الخرطوم، ٢٠٠١.

١٣. عون الشريف قاسم: القبائل والأنساب في السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن، ج.١، آفروقراف للطباعة، الخرطوم، ط١، ١٩٩٦.

١٤. كرم الصاوي باز: مصر والنوبة في عصر الولاة دراسة في التاريخ الاجتماعي في ضوء أوراق البردي العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٦.

١٥. محجوب عثمان: بلاد النوبة دراسة في الجغرافيا والتاريخ، دار جامعة الخرطوم، الخرطوم، ١٩٩٣.

١٦. محمد إبراهيم أبو سليم: تاريخ السودان، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١.

١٧. ــــــــــــ: تاريخ قبائل السودان، دار الأمة، أم درمان، ١٩٨١.

١٨. محمد سعيد القدال: تاريخ السودان الحديث ١٨٢١-١٩٥٦، مركز الدراسات السودانية، بيروت، ١٩٩٢.

١٩. محمد عوض محمد: السودان الشمالي سكانه وقبائله، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٥٦.

٢٠. محمود محمد علي: الهويات الثقافية في السودان النيلي، دار الفكر العربي،

القاهرة، ٢٠٠٥.

٢١. نجم الدين محمد شريف: التراث الثقافي في وادي النيل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥.

٢٢. يوسف فضل حسن: الهجرات العربية إلى السودان وأثرها في التركيب السكاني، دار جامعة الخرطوم، الخرطوم، ١٩٧٣.

٢٣. ــــــــــــ: تاريخ الهجرات الإسلامية إلى السودان، معهد الدراسات الإفريقيَّة، الخرطوم، ١٩٨٠.

٢٤. ــــــــــــ: تاريخ السودان في العصور الوسطى، دار جامعة الخرطوم، الخرطوم، ١٩٨١.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

1. Adams, William Yewdale: Nubia: Corridor to Africa, Princeton University Press, 1977.

2. ----------: The Coming of Nobian Speakers to the Nile Valley, In The Archaeological and linguistic reconstruction of African history, Christopher Ehret and Merrick Posnansky (eds.), University of California Press, Berkeley, London, 1982.

3. Armelagos, George John and Jacobs, K. H. and Martin, D. L.: Death and demography in prehistoric Sudanese Nubia, In Mortality and immortality: The anthropology and archaeology of death, Humphreys, S. C. and King, H. (editors), Academic Press, London, 1981.

4. Butzer, Karl W.: Early Hydraulic Civilization in Egypt: A Study in Cultural Ecology, University of Chicago Press, 1976.

5. Despommier, Dickson D. et al.: Parasitic Diseases, Parasites Without Borders, 7th ed., 2021.

6. Edwards, David N.: The Nubian Past: An Archaeology of the Sudan, Routledge, London, 1st Edition, 2004.

7. Hasan, Yusuf Fadl: The Arabs and the Sudan: From the Seventh to the Early Sixteenth Century, Edinburgh University Press, Edinburgh, 1967.

8. Jamie C. Woodward and Mark G. Macklin and Michael D. Krom and Martin A.J. Williams: The River Nile: Evolution and Environment, Large Rivers Geomorphology and Management, Avijit Gupta (Ed.), School of Geography, University of Leeds, UK, 2007.

9. Levtzion, Nehemia: Ancient Ghana and Mali, Africana Publishing Company, London, 1980.

10. Levtzion, Nehemia and Hopkins, J. F. P.: Corpus of Early Arabic Sources for West African History, Cambridge University Press, London, 1981.

11. Lobban, Richard: Historical Dictionary of Sudan, Lanham, Scarecrow Press, London, 2002.

12. MacMichael, Harold Alfred: A History of the Arabs in the Sudan, Cambridge University Press, London, vol. I, 1922.

13. Matheson, Carney D. and David, Rosalie and Spigelman, Mark and Donoghue, Helen D.: Molecular confirmation of Schistosoma and familial relationship in two ancient Egyptian mummies, Yearbook of Mummy Studies, Vol. 2, 2014.

construction of African history, Christopher Ehret and Merrick Posnansky (eds.), University of California Press, Berkeley, London, 1982.

18. Vliet, Jacques van der: The Christian Epigraphy of Egypt and Nubia, Routledge, London, 1st Edition, 2018.

19. Welsby, Derek A.: The Medieval Kingdoms of Nubia: Pagans Christians and Muslims Along the Middle Nile, British Museum Press, London, 2002.

20. Werner, Alice: The Languages families of Africa, Society for Promoting Christian Knowledge, London, 1915.

رابعاً: الندوات والدوريات الأجنبية:

1. Alamin, Suzan: Noun Phrase Constructions in Nubian Languages: A Compara-

14. Ruffini, Giovanni R.: Medieval Nubia: A Social and Economic History, Oxford University Press, London, 2012.

15. Shinnie, P. L.: Medieval Nubia, Khartoum University Press, Khartoum, 1961.

16. Tapp Edmund and Wildsmith, Ken: The Autopsy and endoscopy of the Leeds mummy, In The Mummy's Tale: The Scientific and Medical Investigation of Natsef-Amun, Priest in the Temple at Karnack, David, Ann Rosalie and Tapp, Edmund (Eds.), Michael O'Mara Books Limited, London, 1993.

17. Thelwall, Robin: Linguistic Aspects of Greater Nobian History, In The Archaeological and linguistic re-

5. Kokaliaris Christos, Garba Amadou, Matuska Martin, Bronzan Rachel N., Colley Daniel G., Dorkenoo Ameyo M., et al.: Effect of preventive chemotherapy with praziquantel on schistosomiasis among school-aged children in sub-Saharan Africa: a spatiotemporal modelling study, Lancet Infect Dis, Volume 22, Issue 1, 2022.

6. Lajtar, Adam: Empowering the Dead in Christian Nubia the Texts from A Medieval funerary Complex in Dongola, The Journal of Juristic Papyrology, Vol. XXXII, Warsaw, 2017.

7. Lalremruata, Albert and Ball, Markus and Bianucci, Raffaella and Welte, Beatrix and Nerlich, Andreas G. and Kun, Jürgen F. J. and Pusch, Carsten tive Study, A Journal of Nubian Studies, vol. 1, No. 1, 2014.

2. Armelagos, George J.: Disease in Ancient Nubia: changes in disease patterns from 350 B.C. to A.D. 1400 demonstrate the interaction of biology and culture, Science, New Series, Vol. 163, Issue 3864, 1969.

3. Greene, D. L. and Van Gerven D. P. and Armelagos, George John: Life and death in ancient populations: bones of contention in paleodemography, Journal of Human Evolution, Vol. 1, Issue 1, 1986.

4. Hassan, Fekri A.: Extreme Nile floods and famines in Medieval Egypt (AD 930–1500) and their climatic implications, Quaternary International, Volumes 173-174, 2007.

to sink: Exploring the Quaternary history of the Nile, Quaternary Science Reviews, Vol. 130, 2015.

خامساً: الرسائل العلمية الأجنبية:

1. Armelagos, George John: Paleopathology of three archaeological populations from Sudanese Nubia, Ph.D. Dissertation, Department of Anthropology, University of Colorado, Colorado, United States, 1968.

M.: Molecular identification of falciparum malaria and human tuberculosis co-infections in mummies from the Fayum depression (Lower Egypt), PLOS ONE, Vol. 8, Issue 4, e60307, 2013.

8. Stricker, B. H.: A Study in Medieval Nubian, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, Vol. 10, No. 2, 1940.

9. Swedlund, A. C. and Armelagos, George John and Nina Godneff: Une recherché en paleodemographie: la Nubie soudanaise, Annales Histoire, Sciences Sociales, Civilisations, vol. 24e, No. 6, 1969.

10. Woodward, J. C., and Williams, M. A. J., and Garzanti, E., and Macklin, M. G. and Marriner, N.: From source